

الدكتور :علي بوعناقة

العربية لغة عالمية

راهن نظام تربوي حصيف

ما تزال المجتمعات المتقدمة خاصة والسائرة في طريق التقدم، والدول العربية منها، تراهن على دور النظام التربوي في حركية انبعاث مقومات المجتمع نحو التقدم في شتى مجالات الحياة المعرفية، والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والأخلاقية. يتأكد ذلك من المحاولات المستمرة ورسم التجارب المحلية والدولية، يدعم هذا التوجه المراكز البحثية المتخصصة والمزودة بالباحثين المسلحين بالنظريات والقياسات ، يعود ذلك لموقع النظام التربوي النسق الاجتماعي.

والفعل التربوي بمكوناته، فعل اجتماعي يقوم على أسس وأهداف، يتكون من وحدات تحكمه شروط، وهو إلى جانب ذلك، وحسب ما أكدته الدراسات و البحوث الميدانية، فعل ينتج ثقافيا واجتماعيا، ويعيد إنتاج ما هو اجتماعي ، وثقافي بصيغ جديدة وفوق ذلك يطور و يجدد كل أساليب الاستيعاب و الإبداع.

يتجسد ذلك المسعى ويحقق متطلباته من خلال مؤسسات تربوية، أقيمت خصيصا لتؤدي أدوارا يكون المجتمع قد رسمها وحددها وفق مجموعة من العمليات، التاريخية والفلسفية والمعرفية، مع اخذ بالاعتبار مميزات المرحلة و ملامح المستقبل. ذلك مرهون بصياغة أهداف تربوية واضحة للسياسة

التعليمية التي تحقق للمجتمع التنمية المستدامة، والأهداف التربوية كما هو معروف ويتفق حوله المربون، تصاغ وتصدر عن فلسفات ومبادئ لا تقتصر على توفير الكادر المدرب المشبع بالمعرفة بل يمتد إلى مبادئ تعمل على صهر الذوات الفردية، في الـ -نحن- بما تخلقه من نفسية مشتركة والتزامات اجتماعية، وعلاقات متشابكة.

وبالإشارة إلي هذه المبادئ ندرك بحق لماذا نرجح الدور الفاعل للنظام التربوي، في مجتمع كالمجتمع العربي الذي يطمح إلى تحقيق الأمن السياسي والغذائي والأخلاقي وبلوغ مستويات التفوق العلمي مع صياغة ذاته.

لقد لخص رجال التربية وعلم الاجتماع التربوي المبادئ الأساسية للعمل التربوي، والتي يمكن أن تعاود تحديد الأدوار التربوية وتحديد عناصرها في الوطن العربي، نلخصها في ما يلي:

أ- مبدأ النضج النوعي.

ويتلخص هذا المبدأ في مساعدة الطفل على أن يحقق في ذاته نموذج نوعه، بمعنى آخر أن توفر له امتلاك كيان عضوي ملائم لجميع المهمات والأدوار التي ينتظرها منه المجتمع الذي أصبح يتعرض إلى التغيرات السريعة والتبدلات المتتالية، وبذلك يفترض أن تكون قدرة التكيف في تزايد مستمر مع إبراز القدرات المناسبة.

ب- الاندماج الاجتماعي.

في النظم التربوية الحديثة لا ينبغي إغفال إرادات الفاعلين الاجتماعيين والسياسيين في رسم وصياغة الأهداف، التي تساعد الطفل على تحقيق ذاته على المستوى الاجتماعي والتفاعل مع محددات

أدوات العمل، والمعايير المألوفة، النموذج الاجتماعي للبيئة التي يوجه إلى الحياة فيها، بشرط أن تستمر عملية الاندماج مع تناسب مراحل نمو الطفولة، الحلقة التي لا تزال توصف بالإبهام والتسطيح.

أبرزت المحددات السابقة تصورا عاما يمزج بين العام والخاص، الذاتي والجماعي، ربما يسمح له-إذا تحقق- أن يتحرك نحو نموذج جديد يوصف بأنه مجتمع المعلومات، ومن اجل ضمان هذا التحرك ينبغي بناء علاقة جديدة بين التعليم والمجتمع، هذا يستوجب استحضار خريطة تحدد في مواقعها مجموعة من الالتزامات، ومنها.

- معرفة كيف يفكر الأطفال؟ وكيف يتعلمون؟
- مدى تمسكهم باللغة العربية الأم، في ظل التزاحمات المحلية و الخارجية.
- ما هي المكانة التي تحتلها اللغة العربية في مكوناتها اللغوية ؟ بعدما زاحمتها لغات أخرى مسلحة بآليات جديدة وتقنيات تكنولوجية جديدة .
- ما هي المفردات الغريبة الدخيلة على اللغة العربية، التي بدأت تنتشر بل انتشرت وزرعت بين الشباب والمتدربين خاصة؟
- كيف يمكن حماية اللغة في المدارس والجامعات الخاصة، بعدما أصبح التعليم الخاص ينافس التعليم العام في الكثير من القضايا "حتى الأساسيات".
- تطبيق التجارب الدولية من التكيف إلى الاغتراب.

من الواضح أن واقع التعليم في الوطن العربي، أصبح يعاني الكثير من المشكلات، مشرقه ومغرب، أبرزها استعارة وتطبيق النماذج التربوية (أل-أم-دي في دول المغرب العربي) بمناهجها وطرائق البحث والتدريس، دون إخضاعها للبحث والتحليل ثم تكييفها مع الثقافة والمحيط، هذه العمليات الغير مؤسسة حولت الطالب إلى مجرد مهني يجهد الكثير عن الموضوع، ضاع ويضيع بين وحدات ومعايير وسلم التنقيط.

النظام التربوي

راهن عالمية اللغة العربية

يسند إلى الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب، انه اجتمع بمختلف الهيئات والجمعيات، وحدد أمامهم بوضوح فكره وتصوره للمرحلة القادمة والتي كانت تتميز بمجموعة من المتغيرات، والتبدلات قائلا: لا بد أن نحقق فيها أملنا وأحلامنا، وإذا فكر شخص كيف ستكون المرحلة القادمة، فانه يستطيع أن يجد الإجابة في فصول الدراسة، فليس هناك عامل يحدد ما نحن عليه الآن، وما سنصير عليه، سوى التعليم الذي يتلقاه أطفالنا، فل نفكر في المدرسة، والأسرة، والمعلم، والمجتمع، بمؤسساته، دون أن ننسى المحيط المحلي والعالمي، فهل يمكن لمفكرين ورجال التربية والسياسة أن يوجهوا النظر إلى فصول الدراسة، في التعليم الأساسي، والثانوي والجامعي في الوطن العربي، ليكتشفوا الطريقة التي يستقبل ويتفاعل أبناؤنا بها، مع درس المعلم، وكيف يتجاوبون ويحللون المواضيع والدروس بلغة ومفردات دالة. لا شك بأن هذه الالتفاتة سوف تحدد لهم ولنا جميعا واقع نظامنا التربوي وما سيصير عليه، وما هي التعزيزات الواجب تقديمها ليتحقق حلم الأمة.

إن معاودة النظر بكل تخصصية في النظام التربوي، يعد حصانة وثبات وقوة داعمة عالمية للغة العربية.

وبالرجوع مرة أخرى للنظام التربوي الذي يعد نسقا من الأنساق، السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية، بل ربما يعد أقوى الروابط بالأنساق الأخرى، يقوم على أسس فاعلة(مناهج، برامج، معلمون، تلاميذ، مجتمع). ذلك يجعلنا نؤكد أن النظام التربوي في اغلب الدول العربية، يتوفر على الأموال الضرورية لتفعيله، ولذلك فالتمويل في تصوري لا يمثل مشكلة بالنسبة لها، غير أن نقص الإرادة السياسية حسب ما يرى بعض المهتمين بالنظام التربوي في الوطن العربي، يعد العامل المعطل في رسم السياسات المستقبلية التي تتكئ على البحث التربوي العلمي.

في هذه الورقة، العربية لغة عالمية = مسؤولية الفرد والمجتمع والدولة، نريد أن نبين انه يمكن إعادة اللغة العربية إلى خريطة العالم كما ورد في ورقة المؤتمر.

بإصلاح وتجديد النظام التربوي أولا، تحديد المناهج وتقويتها وتأصيلها وجعلها تنمashi والمتغيرات الدولية والمحلية ثانيا.

تبقى الدعوة قائمة لرجال الفكر والتربية، أن يوجهوا النظر لفصول الدراسة ليكتشفوا كيف يستقبل ويتفاعل أطفالنا مع درس المعلم وكيف يعبرون ويتحاورون ويتجاوبون ويحللون المواضيع بلغة ومفردات معبرة.

لا شك أن هذه الالتفاتة سوف تحدد ما هو واقع نظامنا التربوي وما سوف يصير عليه، وما هي التعزيزات الواجب تقديمها والآليات الجديدة التي تناسب المرحلة وتناسب تفجير طاقات التلميذ، ليتحقق حلم الأمة الذي مازال قائما.

وهو الوصول بالفرد (الطفل، الطالب، المثقف) العربي إلى الإيمان بأنه حاملا رسالة ويقدم مشروعاً حضارياً، يتمثل في القرآن الكريم بلسان عربي، وأن اللغة العربية هي العمود الفقري لهويتنا والحامل الأساسي لثقافتنا. كما أن تأصيلها وتمكين الناشئة من مكوناتها والتعامل بها واستخدامها في الحياة العملية، يتم هذا فقط بتجديد مصطلحاتها وتصريف اشتقاقاتها وتحديد معانيها، وإبداع المفردات المعاصرة التي تتماشى والمتغيرات التكنولوجية والإعلامية والرقمية الجديدة

هذا مرهون برسم نظام تربوي عربي يقوم على أساسات قوية تنبذ التراجع، وتتطلع إلى إصلاح تربوي جديد يستجيب لمتطلبات المرحلة و يرنو إلى التجديد والتجويد يقوم ذلك على مناهج مدرسية { ومازال المربون وعلماء الاجتماع في العالم الغربي والوطن العربي } يعتقدون بل ويجزمون، بأن التعليم هو الأمل الوحيد في تنمية وتقديم المجتمع العربي .

كيف نعيد للغة العربية مكانتها :

تؤكد الدراسات والآراء المتخصصة أن اللغة تقوى بأهلها وتضعف بتخلفهم، فألمانية ترى أنه من إحدى مهامها الأساسية في عصرنا الحالي تتمثل في نشر اللغة الألمانية، ومن المهام الأساسية كذلك التي يتحملها معهد غوتا على عاتقه هي تطوير هذه اللغة، وألمانيا وهي

تحرص وتهتم باللغة الألمانية وعناصر ثقافتها في العالم له دلالات حضارية وسوسولوجية فعلا ، { فأين يتموقع النظام التربوي العربي من هذا الحرص والتوطين والتبجيل والتوجه نحو تبويب اللغة عالميا، { في السياق ذاته ،تعتبر ألمانية البلد الأوروبي المتقدم ،وتحتل المركز الثالث كقوة اقتصادية في العالم كما تعد مركز تكنولوجيا عالميا

وحسب ما تبديه الدراسات وتؤكدته التقارير من هنا وهناك تمس الموضوع ، فإن الدول العربية لا تملك مشروعا لغويا ثقافيا تقدمه للعلم من خلال المراكز الثقافية المنشورة كهياكل خالية من الروح .

النظام التربوي وإحياء اللغة أي لغة كانت ؛

من النظريات التربوية ،أن النظام التربوي (التربية) تصاغ من فلسفة المجتمع وثقافته ، ثم تستفتح على المناهج والطرائق ، ويكون الطفل هو المستهدف ، فالمناهج في نهاية القول يبقى السؤال المطروح ويفيد ما هو نوع التعليم المفيد للإنسان العربي المتوقع ؟ هذا يفترض على العملية التي تشكل ذلك الإنسان ذي المواصفات التالية :

- 1- أن يكون قادر على الإبداع .
- 2- أن يكون قادر على الابتكار والخلق .
- 3- أن يكون إيجابيا ومتعاوناً .
- 4- أن يكون متمكنا من اللغة العربية صياغة واستعمالا.

هذا يتطلب مراعاة القضايا المتعلقة بثلاث اتجاهات متضمنة في العملية التعليمية وهي :

1- كيف يدرس المدرسون ؟

2- ما هي بنية المعرفة التي يتكون منها المنهج ؟

3- كيف هي حالة النسيج الاجتماعي للوضع التربوي ؟

في هذا السياق تؤكد مجموعات البحث وصناع القرار والممارسين في العالم ، أن البحث والبحث التربوي هو في تقدير كل فرد إنتاج معرفي نقدي ومستقل ، وهذا يمثل مثلث البحث العلمي الذي يقود إلى النتائج الموضوعية ، هذا الوصف والتحديد لوظيفة البحث يؤكد أن النظام التربوي الذي يسند قضاياه إلى التجربة وما تكشفه الوقائع الميدانية ، ثم يلجأ إلى معالجة الضعف و النقائص والاختلالات التي تحدث ، وإيجاد البدائل مما يجعل العملية التعليمية تتطور وتستجيب للتطلعات المستقبلية .

كان دور البحث التربوي وما زال يتمثل في توفير معلومات موثقة وموثوق بها ، كأساس لمعالجة المشكلات التي تواجه مختلف الممارسين ومتخذي القرار والباحثين ، ساعد ذلك كثيرا الدول المتقدمة إلى تطوير وتحديد وتجويد نظامها التربوي الذي يصنع أجيال الإبداع ، والمتقنين الفاعلين

اللغة العربية في المناهج التعليمية.

تشير التوصيفات والمقاربات التي تعطى للغة العربية بالنسبة للمجتمع ، بأنها أم حاملة لثقافته وهويته وانتمائه الحضاري ، يتم غرسها في نفوس الأطفال من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية ، { الأسرة ، والمدرسة ، الخ ،،،، } ،

هذه العملية المنظمة والتي تخضع لمنهجية محكمة ، تتيح للطفل الاندماج الاجتماعي ، وتحقق له

خصوصيته الثقافية ، فيحبها ومن ثم يعمل على تطويرها وفق السياق العام ، والذي تجسده

العملية التعليمية والتي يستوعب الطفل فيها طريقة التفكير والتعبير عن أفكاره بطلاقة .

وفي دراسة استطلاعية أجراها الباحث على عينة من المعلمين (5) ، حول تمكن التلاميذ من

استخدام وإجادة اللغة العربية تعبيرا وكتابة أو حوارا و أجمع المعلمين على أن السبب يعود إلى

انتشار اللغة الفرنسية بين الشباب خاصة وانتشار مفرداتها وكتابة عناوين المحلات الخاصة والإدارات

الحكومية ، وترى الإدارة التربوية أن السبب في التغيرات و التبدلات السريعة في البرامج وقصر الوقت

المخصص للمادة { اللغة } ، أمام هذا الوضع الباهت والذي ما زال يستمر دون لفت النظر إلى

معالجة المشكل ، الشيء الذي أعطى واقعا مقلقا للغة بسبب غياب حامل اللغة والذي يتمثل في

التلميذ والطالب الجامعي والباحث والمثقف والمعلم ،

ما المطلوب

يتلخص المطلوب في عدة نقاط :

أنه إذا أردنا أن نحب ونقر اللغة العربية ، فالواجب يقتضى العناية والاهتمام باللغة ورفع

مكائنها بين اللغات ، ذلك يبدأ من البيت إلى المدرسة إلى الجامعة إلى المخبر ، إلى الباحث

المتخصص ، مع إحياء المشروع اللغوي الثقافي العربي ، وتنشيط ذلك في المراكز والنوادي الثقافية

مع إعادة النظر في المناهج التعليمية ، وإعطاء اللغة العربية المكانة المرموقة والحجم الساعي المطلوب ، واستيفاء الدروس حقها ، البحث عن أنجع الوسائل التكنولوجية الحديثة واستخدامها في تقديم الدروس و إحياء رغبة وروح المطالعة والمقروئية .

لن يتحقق ذلك إلا بتثبيت اللغة في المحيط والإدارات والمحال التجارية والتعامل بها قولاً وفعلاً ، يتحقق ذلك بوضوح الرؤية حول مستقبل وموقع اللغة العربية ، حتى لا نراها تتآكل في البيت والشارع والإدارة والحياة اليومية مع إضفاء الطابع التحديثي والتكنولوجي على العملية التعليمية ، التي تتفاعل أقطابها الثلاثة ، المنهج أو المنهاج ، ثم المعلم ، فالطالب .

في نهاية القول، يبقى السؤال مطروحاً ويفيد ، ما نوع التعليم المفيد للإنسان المتوقع بعد 15 أو 20 سنة ، في ظل نظام تربوي عربي حصيف ، تكون اللغة العربية فيه قوية ، تسجل لها موقعا في فضاء العالمية ، وتكون مخرجات هذا النظام تتميز بالموصفات التالية :

أ / القدرة على الإبداع

ب / القدرة على الابتكار والخلق

ج / أن يتميز بالإيجابية والتعاون

ربما هذا هو الذي جعل الأمم تراهن بالنظام التربوي في تطلعاتها وتعول على قطار التنمية الذي انطلق بخطى ثابتة وبسرعة محكمة لأنها أدركت أنه من أهداف العملية التعليمية إيصال المتعلم إلى مستوى مقبول من النمو المعرفي ، فتعليم الطفل يعني كيفية استعمال المعارف الجديدة والتي تتفجر كل يوم ، تصب بالأساس في كيفية إدارة الأشياء ، ومنه يصبح النظام التربوي يعمل على إنجاح مشاريع التنمية

ومنه المشروع الحضاري اللغة العربية ، وحتى يتحقق ذلك يبقى البحث الدائم عن نوع التعليم المفيد للإنسان الخاضع لعملية التشكيل والمتوقع للعشرية القادمة بكل ما تحمله من مكونات ومتغيرات .

المراجع المعتمدة في هذا البحث

1 / علي بوغناقة وبلقاسم سلاطينية ، علم الاجتماع التربوي ،مدخل ودراسة قضايا المفاهيم ، دار

الهدى للطباعة والتوزيع ، عين مليلة ، الجزائر.

2 /المياء محمد أحمد السيد، العولمة ورسالة الجامعة رؤية مستقبلية الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة

، 2002 .

3 / جابر عبد الحميد جابر ،مدرس القرن الحادى والعشرين الفعال المهارات والتنمية المهنية ،دار الفكر العربي، 2000،القاهرة .

4 / مفيد محمد إبراهيم ،أزمة التربية في الوطن العربي ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ،الأردن ، 1999 ،الأردن

5 / دومنيك جرو، ترجمة كامل حامد جاد ،البحث التربوي في فرنسا، مجلة مستقبلات،مجلة فصلية، المجلد 29، العدد 3 ،مكتب التربية الدولية جنيف .

6 / بريثور يوس، ترجمة بهجت عبد الفتاح عبده ، العليم العالي والتحول من الصفوة إلى العامة ، مستقبلات، مجلة فصلية للتربية المقارنة، العدد 125 ،المجلد 33 ، مكتب التربية الدولي ،جنيف

7 / علي بوعناقة ، المناهج التربوية والمدرسية في العالم العربي (حالة الجزائر)، مجلة التربية، تصدر عن اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم ، العدد 133 ، و134 ، يونيو 2000 ،قطر . مجلة التربية ،اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم ،الدوحة قطر ، 1995 .

8 /علي بوعناقة ، العملية التعليمية والعولمة ،مجلة التربية ، نفس المرجع ، 135، 136 ، 2000 .

9/ أنظر علي بوعناقة ، بحث استطلاعي حول استعمال وإتقان اللغة العربية في المحيط المدرسي والاجتماعي ، بحث غير منشور ، جامعة منتورى قسنطينة ، الجزائر.

